منظمة التحرير الفلسطينية وتحدّيات عقد التسعينات

د. نبيل حيدري

كيف يمكن القاء نظرة، في التسعينات، في حين ان الآفاق القريبة، والبعيدة، تكاد تكون متداخلة بعضها ببعض، تكتنفها اسئلة ونقاط استفهام متعدّدة المظهر والاهمية؟ بل كيف يمكن القاء نظرة، في التسعينات، والاحداث المعاشة على تسارع مذهل، يختلط فيها ما هو اساسي ناتج من الاوضاع في الارض الفلسطينية المحتلة، مع ما هو ظرفي في منطقة الشرق الاوسط، وفي المحيط الدولي، يتفاعل معها دوماً؟

بالطبع ليست الاسئلة المثارة، هنا، مجاراة لموضة رائجة على هامش الانتفاضة الفلسطينية. ربما شجّعت الانتفاضة على صوْغ الاسئلة بوضوح أكثر، وصراحة اكبر، لكنها أُثيرت، في مجملها، في سياق الحديث عن مستقبل العمل السياسي الفلسطيني على امتداد العقد الحالي، بعدما برزت الى العيان حقيقة ان منظمة التحرير الفلسطينية وصلت، في الوقت الحاضر، الى نقطة في نضالها، تستوجب ترجمة الانتفاضة الى مكاسب سياسية ـ جغرافية ملموسة، أو في الظفر بجائزة حقيقية على «هجوم السلام» الذي شنّته منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، واضعة اياها ازاء تحدّي صوغ بديل سياسي لا يفقد الانتفاضة مغزاها ودورها المفترض في دفع عملية التسوية خطوات الى أمام.

الدلائل على هذا الوضع أكثر من ان تعدّ وتحصى، بحيث يبدو، الآن، ان احداً لا يجافي الحقيقة عندما يستنتج، مثلاً، ان الاستراتيجية الاسرائيلية كشفت، خلال العام المنصرم، عن قدرة اسرائيل على المحافظة على خطتها للانتخابات في الارض المحتلة، وتمكّنت من جذب اهتمام الولايات المتحدة الاميركية ومصر الى عملية دبلوماسية حافلة بالمعاناة، فضلاً عن كونها مضيعة للوقت، لكنها استهدفت، من حيث الاساس، التهوين من مشروعية منظمة التحرير الفلسطينية في العملية السياسية، وكذلك، العمل من خلال مصادرة الاراضي واستقطاب المهاجرين اليهود الجدد، على خلق حقائق قد تؤدي الى ضمّ فعلي، لا رجعة عنه، للمناطق المحتلة، ثمّ السعي الى البحث عن أصوات فلسطينية «معتدلة» بديلة يمكنها التفاوض معها على أساس الحكم الذاتي المحدود. ثمّ ان احداً لا يجافي الحقيقة عندما يقول، مثلاً، ان الجهود العربية التي تتخذ، في العادة، طابعاً توسّلياً، بلغت حداً جعلها غير قادرة على ضمّ اثنين من المبعدين الفلسطينيين الى وفد فلسطيني اقترحته مصر للتفاوض مع وفد اسرائيلي، حول شروط اجراء الانتخابات المقترحة في الارض المحتلة، لاختيار ممثلين الى المفاوضات، وكأنها كادت تختصر جهود التسوية كلها. كما تبيّن، اخيراً، ان الادارة الاميركية الحالية ليست في عجلة من امرها الى تحقيق أي تقدّم ذي مغزى على صعيد النزاع في المنطقة، وان ليس